

تفسير البحر المحيط

@ 261 @ الكوفيون ، فأبو علي أخذ بقولهم في هذه المسألة . وقرأ أبو عمرو : أُوْكُلْ خُمط
بالإضافة : أي ثمر خُمط . وقرء : وأثلاً وشيئاً بالنصب ، حكاه الفضل بن إبراهيم ، عطفاً
على جنتين . وقليل صفة لسدر ، وقف لأنه كان أحسن أشجاره وأكرم ، قاله الحسن ، وذلك
إشارة إلى ما أجراه عليهم من تخريب بلادهم ، وإغراق أكثرهم ، وتمزيقهم في البلاد ،
وإبدالهم بالأشجار الكثيرة الفواكه الطيبة المستلذة ، الخُمط والأثل والسدر . ثم ذكر سبب
ذلك ، وهو كفرهم بالله وإنكار نعمه . { وَهَلْ } بذلك العقاب { نَجْزِي إِلَّا الْكَافُورَ }
: أي المبالغ في الكفر ، يجازي بمثل فعله قدراً بقدر ، وأما المؤمن فجزاؤه بتفضيل
وتضعيف . وقرأ الجمهور : بضم الياء وفتح الزاي ، الكفور رفعاً : وحمة والكسائي :
بالنون وكسر الزاي ، الكفور نصباً . وقرأ مسلم بن جندب : يجزي مبنياً للمفعول ، الكفور
رفعاً ، وأكثر ما يستعمل الجزاء في الخير ، والمجازاة في الشر ، لكن في تقييدهم قد يقع
كل واحد منهما موقع الآخر .

{ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى
ظَاهِرَةً } : جاءت هذه الجملة بعد قوله : { وَبَدَّلْنَا هُمْ } ، وذلك أنه لما ذكر ما
أنعم به عليهم من جنتيهم ، وذكر تبديلها بالخمط والأثل والسدر ، ذكر ما كان أنعم به
عليهم من اتصال قرارهم ، وذكر تبديلها بالمفاوز والبراري . وقوله : { وَجَعَلْنَا } ،
وصف تعالى حالهم قبل مجيء السيل ، وهو أنه مع ما كان منهم من الجنتين والنعمة الخاصة
بهم ، كان قد أصلح لهم البلاد المتصلة بهم وعمرها وجعلها أربابها ، وقدّر السير بأن قرب
القرى بعضها من بعض . قال ابن عطية : حتى كان المسافر من مأرب إلى الشام يبيت في قرية
ويقل في أخرى ، ولا يحتاج إلى حمل زاد . والقرى : المدن ، ويقال للجمع الصغير أيضاً
قرية . والقرى التي بورك فيها بلاد الشام ، بإجماع من المفسرين . والقرى الظاهرة هي
التي بين الشام ومأرب ، وهي الصغار التي هي البوادي . انتهى . وما ذكره من أن القرى
التي بورك فيها هي قرى الشام بإجماع ليس كما ذكر ، قال مجاهد : هي السراوي . وقال وهب
: قرى صنعاء . وقال ابن جبير : قرى مأرب . وقال ابن عباس : قرى بيت المقدس . وبركتها :
كثرة أشجارها أو ثمارها . ووصف قرى بظاهرة ، قال قتادة : متصلة على الطريق ، يغدون
فيقلون في قرية ، ويروحون فيبيتون في قرية . قيل : كان كل ميل قرية بسوق ، وهو سبب
أمن الطريق . وقال المبرد : ظاهرة : مرتفعة ، أي في الآكام والطراب ، وهو أشرف القرى .
وقيل : ظاهرة ، إذا خرجت من هذه ظهرت لك الأخرى . وقيل : ظاهرة : معروفة ، يقال هذا أمر

ظاهر : أي معروف ، وقيل : ظاهرة : عامرة . وقال ابن عطية : والذي يظهر لي أن معنى ظاهرة : خارجة عن المدة ، فهي عبارة عن القرى الصغار التي هي في طواهر المدن ، كأنه فصل بهذه الصفة بين القرى الصغار وبين القرى المطلقة التي هي المدن . وطواهر المدن : ما خرج عنها في الفيافي والفحوص ، ومنه قولهم : نزلنا بظاهر فلاة أى خارجاً عنها ، وقوله : { ظَاهِرَةٌ } : تظهر ، تسميه الناس إياها بالبادية والضاحية ، ومن هذا قول الشاعر : % (فلو شهدتني من قريش عصاة % .

قريش البطاح لا قريش الطواهر .
%)

يعني : الخارجين من بطحاء مكة . وفي الحديث : (وجاء أهل الصواحي يسكنون الغرف) . { وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ } : قد ذكر أن الغادي يقل في قرية ، والرائح في أخرى ، إلى أن يصل إلى مقصوده آمناً من عدو وجوع وعطش وآفات المسافر . قال الضحاك : مقادير المراحل كانت القرى على مقاديرها . وقال الكلبي : مقادير المقييل والمبيت ، وقال القتيبي : بين كل قرية وقرية مقدار واحد معلوم ، وقيل : بين كل قريتين نصف يوم ، وهذه أقوال متقاربة . والظاهر أن قوله : { سَيْرُوا } ، أمر حقيقة على لسان أنبيائهم . وقال الزمخشري : ولا قول ثم ، ولكنهم لما مكنوا من السير ، وسويت لهم أسبابه ، فكأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه . انتهى . ودخول الفاء في قوله فكأنهم لا يجوز ، والصواب كأنهم لأنه خبر